

دلالة الإيحائية لصورة الشهيد في ديوان "مع الشهداء"

للشاعر أحمد الطيب معاش

ابتسام بن خراف

المركز الجامعي العربي بن مهيدي أم البواقي

تمهيد:

لكل نص أدبي طاقة إبداعية تنفتح على مدلولات لامتناهية، وشعر الثورة الجزائرية كغيره من النصوص الأدبية له هويته ووجهته، صيغته التعبيرية والتركيبية فضلا عن ذلك الأثر الجمالي الناتج عن تعالق المستويات اللغوية، وأنواع الصور وأنساق تشكيلها.

وتحاول هذه المداخلة استنطاق دوال النص وإشاراته من أجل رصد الدلالة الإيحائية لصورة الشهيد التي بثت إغراءها في ديوان "مع الشهداء" للشاعر الجزائري أحمد الطيب معاش.

أما الديوان "مع الشهداء" في طبعته الأولى في ماي 1985 صادر عن دار الشهاب باتنة الجزائر، يتكون من ثلاث مئة وثمانية صفحة من الحجم المتوسط أما تركيبته فجاءت في سبعة وأربعين نصا شعريا موزعا في قسمين، فأما القسم الأول فهو خاص بشهداء ثورة نوفمبر المجيدة وأما الثاني فهو مكرس لشهداء العروبة والإسلام وضحايا التصفيات الجسدية.

وتنحصر المداخلة بالدراسة والتحليل قصائد القسم الأول للديوان الشعري وهي نصوص شعرية جاءت معظمها معنونة ومحافضة على عمود الشعر للمرزوقي (العروض الخليلي، القافية، الروي).

دلالة الإيحائية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش

أما صورة الشهيد فتجسدها أسماء أعلام الأشخاص الآتية: الشهيد مصطفى بن بولعيد والشهيد بن العربي التبسي ورضا حوحو.

هذه الأسماء ترتفع من كونها وحدات معجمية دالة على أشخاص إلى دوال لامتناهية الدلالة، عاكسة عبر السياق الشعري تصورا معرفيا وجماليا، فالشاهد هو الزمان والمكان، هو الثورة والحرية، هو العلم والأمل.

1- الدلالة الإيحائية للعنوان

يستطيع العنوان من الوهلة الأولى أن يحدد للمتلقي ماهية المتن، ذلك أنه «بنية رحمة تولد معظم دلالات النص، فإذا كان النص هو المولود فإن العنوان هو المولود الفعلي لتشابكات النص وأبعاده الفكرية»⁽¹⁾.

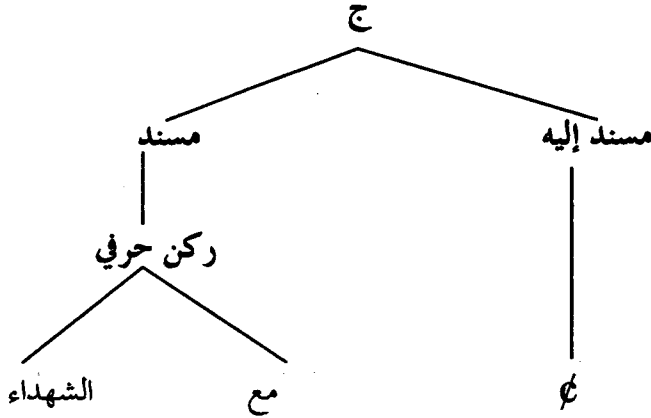
أما عنوان الديوان الشعري فتحدده البنية التركيبية "مع الشهداء" وهي- في تقديري- على بساطتها ودرجة وضوحها وتواصلتها، إلا أنها «تتضمن مكونا لا تحدديا، واللاتحدد أو الإلتباس شرط أساسي للتواصل وهو يوجد في اللغة التواصلية.... عبارة عن مضمرات وتضمنيات و سخرية أو فيما يمكن جمعه تحت عنوان الإيحائية»⁽²⁾.

وتمثل الوظيفة الإيحائية أحد الوظائف الأساسية الأربعة التي يحددها العنوان : «الإغرائية - الوصفية - التعيينية»⁽³⁾، هذا ما يجعل من التركيبية "مع الشهداء" مصطلحا إجرائيا ناجعا في الكشف عن البؤرة الدلالية للنص الشعري، «فالعنوان مفتاح النص عتبته وبوابته والنص بدوره حامل للعنوان ومبرمج له»⁽⁴⁾.

إن البنية اللغوية "مع الشهداء" بقدر ما تتضمنته من آلية تفاعل بين النص والقارئ «تساجله وتناوشه (فهي أيضا) تحجب طرفا من المعنى وتظهر آخر»⁽⁵⁾، وللكشف عن أبعاد المعنى تعتمد القراءة على تقصي العلاقات النحوية القائمة في تلك التركيبية الخاصة.

تمثل البنية اللغوية "مع الشهداء" من منظور النحويين جملة والجملة من الناحية الدلالية «أقل قدرا من الكلام، ومن حيث التركيب تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي المسند والمسند إليه والإسناد»⁽⁶⁾.

ويمكن الكشف عن العناصر السابقة "أركان الإسناد" من خلال إسقاط التركيبة "مع الشهداء-"ج" على المشجر التفريعي الآتي:



يمثل المشجر أعلاه البنية العميقة للتركيبة "ج" وهي «بنية مجردة وضمنية وهي التي تحدد شروط العناصر التي تشغل الوظائف في الجملة»⁽⁷⁾ كما أنها تساعد على تحديد المدلول القابع تحت السطح المنطوق.

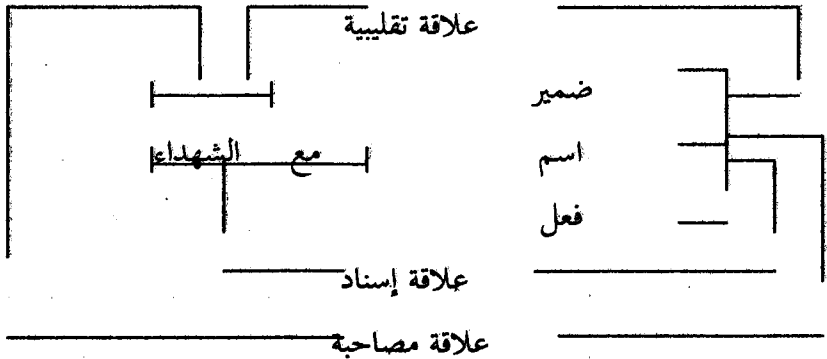
كما يظهر المشجر بوضوح، ومقارنة بالبنية السطحية، يظهر أن أحد أركان الإسناد "المسند إليه" قد ناله الحذف.

ولما كانت تقنية الحذف لا تكون إلا «بدليل من بنية معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق»⁽⁸⁾، تحاول القراءة أن تتلمس "المحذوف" بين ثنايا المتن الشعري، «فنحى غير مجبرين على التنقيب عن الدلالة التي أرادها الشاعر إنما معنيون بإنتاج أو إعادة إنتاج دلالة ربما تتفق مع ما قصده الشاعر وربما تختلف مع قراءة أخرى لقارئ آخر»⁽⁹⁾.

دلالة الإيحائية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش

وهذه القراءة ليست إلاّ ملاً للفراغ البنيوي الكائن في الجملة "مع الشهداء" مبيّنة بذلك مدى أثر تقنية الحذف في التشكيل الجمالي وإبراز المعنى خاصة وأنه -الحذف- «يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه وتجعله يتخيل ما هو مقصود، وعملية التخيل هذه تؤدي إلى حدوث تفاعل بين المرسل والمتلقي قائم على الإرسال الناقص من قبل المرسل وتكملة هذا النقص من جانب المتلقي»⁽¹⁰⁾.

أما القراءة الأولية فتقدر المحذوف بأحد المورفيمات التالية: "ضمير/اسم/فعل"، وهذه المورفيمات "العنصر المحذوف" تدخل في علاقة تقليبية تركيبية، فأما العلاقة الأولى فتحددها "المقابلة" وهي فرع من فروع العلاقة التقليدية ويقصد بها صلاحية العنصرين اللغويين أن يحل أحدهما محل الآخر أي يقع موقعه ويؤدي وظيفته⁽¹¹⁾ وأما الثانية فتحددها "المصاحبة" وهي مظهر العلاقة التركيبية، دل على ذلك الحرف "مع"، و«مع حرف حفظ او كلمة تضم الشيء إلى الشيء ظرف بلا خلاف فإنه مضاف إلى أحد المتصاحبين وهو لإثبات المصاحبة ابتداء»⁽¹²⁾، أما الترسمة الآتية فتوضح العلاقات النحوية السابقة:



وللتفصيل أكثر أورد الجدول الآتي:

المستند

المستند إليه

مع الشهداء

أنا

نحن

أنت

أنتم

هو

هي

هؤلاء

هذا

ضمير

أحمد الطيب معاش

اسم

مع الشهداء

كونوا

لنكن

فعل

دلالة الإيحائية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش

تشير النقط المسترسلة في الجدول أعلاه، إلى تعدد "المحذوف" -العنصر المصاحب- وهذا التعدد له فاعلية تنفث معطيات متجددة لدى كل قراءة، مما يجعل من التركيبة "مع الشهداء" علامة مفتوحة قابلة لتأويل بعد تأويل خالصة من محدودية الدلالة⁽¹³⁾.

1.1 الدلالة الإيحائية للبنيات اللغوية المنتجة.

أ- البنية اللغوية: ضمير محذوف (ع) + حرف جر (مع) + اسم (الشهداء)

إن الضمير لفظ يدل على عموم الحاضر أو الغائب دون الدلالة على خصوص الحاضر أو الغائب كما أنه لا يدل على مسمى كالاسم وإنما يعمل على تعيين مسماه، وتنقسم الضمائر في اللغة العربية إلى ضمائر الشخص والإشارة والموصول⁽¹⁴⁾

أما السياق الشعري فينتخب الضمائر الشخصية (التكلم) كعنصر مصاحب، معينة بذلك المسند إليه المحذوف.

والضمائر الشخصية هي ما دلت على ذات واعية مستقلة في إرادتها بحيث تمتاز بصفات تميزها عن غيرها⁽¹⁵⁾

فما هي مميزات الذات التي حددها المتن الشعري يا ترى ؟

يادرة تزهو بها إفريقيا	والعرب تغمرها بعشق سرمدي
أن أوصل زرعها	
فأجب.....	لتكون دوما في غنى عن مسند
فاستحلفتني قها لبيك ثم ضممتها	وأخذت في حصد الذي زرعت يدي
هذا يميني أقسمته جوانحي	من قبل كفي أو لساني الأعد
هات الكتاب إذا أردت فإنما	قسمي يؤيده كتاب محمد
إني سأبقى رهن حبك حاملا	ذكراك والأمل المجدد للغد

فالحب عندي منه نهر صاحب جار كنبع العاشقين مخلد
فاشرب فديتك من دمائي إنها وقف عليك وأنت تدري مقصدي
إن لم أروي من دمائي دوحه تدعى الجزائر من تراني أفتدي
ياأيها الشهداء إني لاحق فإلى اللقاء...إلى اللقاء....إلى غد
خسوسن عاما أو زهاها قد مضت وأنا أطارد رغبتى هل أهتدي

يستوقفنا من الوهلة الأولى تكثيف ضمير شخص التكلم المنفصل "أنا" والمتصل "الياء" من خلال التشكيل اللغوي للأبيات الشعرية وهذا التكثيف كان مناسباً «لأن يشحن السياق الشعري بدلالة الثبت الذاتي وإثبات الإنية»⁽¹⁶⁾ مقدماً بذلك نموذجاً للعلاقة في شكلها الإيجابي والمطلق بين الذات "أنا" والمخاطب "هي" ممثلة في، أنثى ليست كالبقيات، إنما الدرة "الجزائر" مكرسة بذلك فكرة الإستثمار بالحب الأبدي (المبادل) للحبيبة -الجزائر- مقسمة ونافية لأي شكوك لفقت لهذا الحب ومؤكدة رغبتها الجارحة في الالتحاق بالإخوة الشهداء.

لو كانت الأقدار تسمع رغبتى يا إخوتي لأ تيتكم في الحال
فالموت في هذا الزمان مفضل عن عشنا في هذه الأحوال
والقدس عاث بها دخيل معتد والعرب أفسد زمان المال

هذه الرغبة تجسد التضاد القائم بين زمنين "زمن الشهداء" و"زمن الذات الشاعرة" زمن سابق حالم محتضن وزمن حاضر مرفوض ومستنكر فيتجلى التفاضل الصريح للثنائية (الموت، الحياة).

الالتحاق بالشهداء (الإخوة)

الموت
تحقيق الرغبة

الحياة ← انقطاع الصلة مع الغير (الشهداء)
الأحياء

دلالة الإيحائية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش —————
إلا أن الذات الشاعرة لا تتمادى في الغنائية بل تعتمد إلى ربط استنكارها
وطموحها مع الجماعة ممثلة في ضمير شخص التكلم المنفصل "نحن" والمتصل "نا"

نحن يا مصطفى على الدرب ساعون	بأثر الأحبة الشهداء
نحن شعب موحد سرمدي	رغم أنف الدعاء للأهواء
والكل يهتف :إننا خلف الأولى	سبقوا المواكب للسهل والفرقد
إننا نعاهد كل حر غائب	أنا على درب الشهادة فهتدي
ونعاهد الوطن الحبيب مجددا	مستلهمين الرشد من مستشهد
ونقول من قلب براه تشوق	للسابقين إلى اللقاء إلى غد

فرغم تعدد المشارب والأهج تسعى الذات الشاعرة إلى استنكار مظاهر
القطيعة متعهدة بالسير على درب الشهداء باعثة روح الحياة الحرة الجامعة التي
تحطم أمامها كل مغرض مهما كان قويا⁽¹⁷⁾.

ب- البنية اللغوية : اسم محذوف (ء) + حرف جر (مع) + اسم (الشهداء)

يمثل اسم العلم "أحمد الطيب معاش" مورفيما آخر بإمكانه ملأ الفراغ
البنوي للجملة "مع الشهداء" خاصة وأن السياق الشعري قد شهد حضورا
كثيفا لضمير شخص التكلم "أنا" هذا الأخير «له وظيفة كبرى هي كناية
الضمير عن الإسم الظاهر»⁽¹⁸⁾

واسم العلم "أحمد الطيب معاش" تنقله التركيبية "أحمد الطيب معاش مع الشهداء"
إلى الإشارة إلى شخص بعينه ليكون دالا على الوظيفة التي يمثلها ذلك الشخص.

وللقبض على الدلالة الإيحائية للتركيبية السابقة نحاول تقصي دلالة العلاقة
النحوية القائمة بها.

يدخل اسم العلم "أحمد الطيب معاش" في علاقة مصاحبة مع الركن الاسمي
"الشهداء" أفاد ذلك حرف المعية "مع".

هذه العلاقة تقتضي بالضرورة مشاركة العنصرين المتصاحبين أحمد الطيب معاش / الشهداء في مجموعة من الصفات والأفعال.

وللكشف عن هذا التقاطع تنكئ على بيان دلالة الوجدتين اللغويتين "الشهداء"، "أحمد الطيب معاش".

يعرف الشهيد بأنه «من يقتل في ساحة المعركة في سبيل إعلاء كلمة الله، والشهيد له مقام عظيم عند ربه مما جعل كبار الصحابة يتمنون الشهادة في المعارك التي خاضوها. ولقد جاء في القرآن الكريم دليلاً على علومكانتهم قول الحق تبارك وتعالى "فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً" النساء 69» (19)

فالشهيد قد لزمته الاستقامة وصدق الأنبياء والصالحين ثم إنه حي عند ربه يرزق «فإن كان الشهداء أموات الجسم فهم أحياء الأرواح حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح غير مضمحلة بل هي حياة بمعنى» (20)

والشهداء "يختارهم الله من بين المجاهدين ويتخذهم لنفسه سبحانه، فالإستشهاد هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص، ثم إن الشهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس فيؤدون الشهادة... وأداء هذه الشهادة تقرير منهم على أن ما جاء من عنده الحق وعلى أنهم آمنوا به وتجرّدوا له وأعزّوه حتى أرخصوا لكل شيء من دونه وعلى أن حياة الناس لم تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق وعلى أنهم استيقنوا هذا فلم يألوا جهداً في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس» (21)

أما اسم العلم "أحمد الطيب معاش" فهو إشارة إلى شخص بعينه إنّه الشاعر المجاهد "أحمد الطيب معاش" «شاعر عاش ويلات حرب التحرير اكتبى بهم الحرف والحرب غاص حتى العمق في تربة هذه الأرض عرف الناس والرصاص» (22)

فالشاعر المجاهد قد عرف المجاهدين الشهداء وشاركهم البطولة والطموح فكانوا «رجالاً لهم فضائلهم الفريدة (إيماناً) بالله و(حبا) للوطن و(استعداداً) للتضحية وشجاعة لا تضير لها و(استخفافاً) بالخطر ولعل الإسلام لم يعرف مثل هؤلاء الرجال إلا في الفترة الأولى من ظهور الرسالة وكان ذلك واضحاً طوال سنوات الصراع»⁽²³⁾

فإذا كان الشاعر المجاهد قد قاسم الإخوة الشهداء فضيلة الجهاد فهو يقاسمهم كذلك فضيلة الشهادة حتى وإن لم يوار التراب فروحه في معانقة أبيه وروح الشهداء الأحياء.

هذا ما يجعل من علاقة المعية (المصاحبة) القائمة في البنية اللغوية المنتجة "أحمد الطيب معاش مع الشهداء" يجعلها تفيد المعية الشرفية والمعية بالرتبة فأما الأولى فتكون لشخصين متساويين في الفضيلة وأما الثانية فتكون لنوعين متقابلين تحت جنس واحد أو شخصين متساويين في القرب إلى المحراب⁽²⁴⁾
أحمد الطيب معاش = الشهيد الحي

هذا وإذا كان شهداء الجزائر يعدون بالمليون ونصف المليون، فما هي صورة الشهيد التي رسمها الشاعر للإخوة الشهداء.

2- الدلالة الإيحائية لصورة الشهيد

لا شك أن الوصف «من أدعى موضوعات الشعر إلى التصوير لأن الوصف بطبيعته يدفع الشاعر إلى التعبير عن موضوعه بالأسلوب الذي يجسم الإحساس وتجسيم الإحساس لا يمكن أن يكون إلا في قالب من الصور ولأن الوصف يعتبر من أغزر منابع الشعر الذاتي، لأن الشعراء غالباً لا يدفعون إلى هذا اللون بدافع خارجي وإنما يصدرون فيه عن رغبة شخصية وإحساس باطني ولكن الشعراء يتفاوتون في التعبير عن تلك الرغبة وهذا الإحساس حسبما يملكون من مقدرة خيالية وموهبة شعرية وقدرات عقلية تعتمد أساساً على ثقافة الشاعر»⁽²⁵⁾

والصورة الشعرية في الديوان الشعري استطاعت أن تجسد حرارة التجربة الشعرية كما شاء لها انفعال الشاعر «فغدت بعد ذلك رؤيا داخلية وتركيبية فنية تنشأ من الواقع العادي وتنطلق من وقائع الأشياء ولكنها لا تعود إليها»⁽²⁶⁾

واستطاع الشاعر من خلال تشكيل لغوي خاص غذاه الخيال أن يجسد صورا تقريرية وصفية للشهداء، إلا أنها كانت أبعث على المتعة والإحساس بالجمال قائمة على الإيحاء مما جعلها أبعد تأثيرا في نفسية القارئ حاملة به إلى حيز زمكاني قد سادته البطولة في أسمى معانيها. وهذا فإن صورة الشهيد قد رسمها الشاعر بأسماء أعلام الشهداء الأبطال الذين كانت «حياتهم ملحمة تاريخية بطولية خطت بالله والنار وسطرت على رواي وبقاع الجبال... في ربوع وطننا الحبيب المفدى الجزائر»⁽²⁷⁾.

2-1 الدلالة الإيحائية لصورة الشهيد مصطفى بن بولعيد

يبرز اسم العلم مصطفى بن بولعيد في مطلع القصيدة الشعرية مستنفرا بذلك بطولات الشهيد الرمز

مصطفى والجهاد والأوراس	كلمات منقوشة في السماء
كلمات تقول إن بلاد	موطن الخالدين والشهداء
يا شهيدا حمى قضية أرض	وفدى قومه بلا استثناء
كنت نبراسا لبيل العوادي	وسلاحا أطاح بالأعداء
كنت ممن دعوا لثورة التحرير	وممن قضوا على الشحناء
أنت من قدم الحياة فداء	لبلاد وجاء بالآلاء
جدت بالنفس واكتفيت بشبر	هو أغلى من قصر أهل الثراء

يستوقفنا التكوين التركيبي للمسند إليه "مصطفى والجهاد والأوراس" حينما اصطنع حرف الواو علاقة الوصل بين الوحدات اللغوية مصطفى/الجهاد/الأوراس، ولهذه العلاقة دور بالغ في ضبط الدلالة والتي يمكن الكشف عنها من خلال السياق الشعري.

لقد غدا "مصطفى/الجهاد/الأوراس" كالنظراء أو الشركاء بحيث إذا عرف السامع حال الأول "مصطفى" عناه أن يعرف حال الثاني "الجهاد" وعناه أن يعرف حال الثالث "الأوراس"، خاصة وأن السامع (المتلقي) يمثل أحد عناصر السياق وحاجته إلى معرفة حال الثالث بعد معرفة حال الثاني وحال الأول لاقتراحهما من مبررات العطف (28)

فإذا « كان معنى الجهاد قتال من ليس لهم عقد ولا ذمة من الكفار ردءا للعدوان أو درءا لفتنة أو تحرير من ضلالة أو إقرار للعدل والأمن والسلام لتكون كلمة الله هي العليا » (29)، فإن هذا المعنى قد ارتبط ارتباطا وثيقا باسم العلم "مصطفى" الذي جعله السياق الشعري اسما لا يفيد فقط وإنما يعني <أيضا> بحكم تحوله في الثقافة العربية الإسلامية وحتى العالمية إلى رمز دال وهذا التحول الرمزي يجعل من اسم العلم "مصطفى" ذو دلالة رمزية متجاوزا بذلك الدلالة المباشرة إلى أبعاد وآفاق سيموطيقية تشكل النص الشعري وتربطه بسياق الثقافة التي ينتمي إليها (30)

فيغدو اسم العلم مصطفى رمزا للجهاد وللأوراس، فإذا ذكر الواحد منا "مصطفى بن بولعيد فقد ذكر الأوراس والجهاد وإذا ذكر الأوراس فقد ذكر مصطفى والجهاد.

وهكذا يرتفع القيد المكاني "الأوراس" هو الآخر إلى رمز يترآى من خلاله الوطن بأسمى معانيه.

فالأوراس الجبل الشامخ الذي اقترن اسمه باسم الثورة واقترن اسمها بذكره فمنه تفجرت وامتد لهيبها الذي عم أرجاء الوطن في ملح البصر (31)

يتقاسم هذا الحيز المكاني فضيلة الجهاد والشهادة بوصف الثورة « استجابة لطلب هذا المكان وكأنه أحس بوطأه المستعمر أكثر من الإنسان ومن ثم راح يقدم نفسه قربانا وفداء للثورة » (32)

فمصطفى بن بولعيد قد هبط من جبال الأوراس حاملا معه كل شمم الجبال وشموخها، مانحا كل الثروة التي جهد لجمعها طوال حياته واهبا كل امكاناته التنظيمية وجاد بعد ذلك بالروح في سبيل قضية الإسلام والجود بالروح أغلى غاية الجود⁽³³⁾.

فالمكان "الأوراس" وكل شبر طاهر من أرض هذا الوطن الذي شهد ثورة الأبطال لم يكتب له الخلود إلا بوجود الإنسان البطل الشهيد، إذ أن الإنسان هو الذي يستدعي الكينونة من خلال خطابه وأفعاله ودون هذا الإنسان تغدو الطبيعة مكانا فقط⁽³⁴⁾.

والإنسان ممثلا في "المجاهدين الشهداء" هو الكائن في الزمان والمكان، فإذا زجر الأطلس بسلسلتيه (التلي والصحراوي) فإنها زججة الأبطال المجاهدين الصناديد الشهداء.

لكن أصلع في الشمال مجربا أودى الزمان بريشه المعطار

.....
رفع العقيرة وأنبرت أصداؤه
ويلى ويلكم إذا دام العدا
ملء الأثير تصيح في التاتار
فأنا وأنتم طعمة الأغيار
أنا رأس أفريقيا ورمز شملها
إني أنا العاتي إذا ديس الحمى
ما للرؤوس الشوس من قهار
وأهين شبلي في الحمى أو جاري

إذ يؤلف السياق الشعري صورة مشخصة للقيد المكاني (جبال الأطلس)، فيرتد بذلك الجامد متحركا حيا، رافعا عقيرته، مهددا قوى الشر الطاغية.

وهذا التجلد والشموخ ليسا إلا تجلد وشموخ المجاهدين الشهداء الذين خلقوا الأحداث ولم تخلقهم، فتخلد بذلك المكان بخلود الإنسان الشهيد.

دلالة الإيجابية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش

2-2 الدلالة الإيجابية لصورة الشهيد العربي التبسي ورضا حوحو

لا شك أن الثورات دائما كانت من صنع الطلائع التي تمهد وتقرر ثم تخطط وتجرّ الجماهير بالتدرّج إلى أن تقتنع بالفكرة عندها وعندها فقط يكون التبني والاحتضان للذات لا بد منهما لتحقيق النصر (35)

والثورة الجزائرية قد حمل لواءها ثلة من الشباب المثقفين والمتعلمين والذين آمنوا أن الحرية تأخذ ولا تعطى وأن السبيل إلى ذلك هو الثورة والثورة فقط والتعبئة الدينية والثقافية هي التي ستمنح محتضن الثورة الثبات والصمود. لأجل ذلك عمل الشهيدان "العربي التبسي" "رضا حوحو" على تذكية نار الثورة، وتعهّدت لهما "اليد الحمراء" الفرنسية الإجرامية بغمرهما في غياهب الموت. وإن كانت القصيدتان "في ذكرى الشهيد العربي التبسي والشهيد رضا حوحو" قد نظمتا للإلقاء في مهرجان الشهيد فإن التشكيل الأدائي لهما قد صور ببراعة مزايا الشهيدين وفضائلهما.

عربي بالاسم أو بالجهاد	وشهيد للعلم أو للضاد
وحبيب للشعب جيل فجيلا	وخطيب مفعوّه كزياد
وزعيم وعالم وإمام	ومربي الطلائع الذياد
يا تبسي تبسة بك تزهو	والمنادي لما دعوت ينادي
هبة الله أنت للعرب والإسلا	م والمغرب الكبير المفادي
أيها الشيخ يا شهيدا تسامى	فوق زيغ الخصوم والأضداد
أيها الثابت الصبور بسجن	وعذاب وقاهر جلالاد
إن أهانوا وعذبوا واستبدوا	لذت بالله والكتاب الهادي

أيها العالم المجاهد يا من عاش حرا ومات رهين المبادي

فبعد الجبال التي احتضنت الأحداث ها هو المكان "تبسة" يحتضن هو الآخر محرك الأحداث بعد أن حلّ به الشيخ العربي التبسي حتى غدا قبلة ثانية لطلاب العلم وعشاق الأدب ورواد الإصلاح الحنيف (36)

ولا شك أن محاضرات العربي التبسي قد كانت قبسات من نور تذكي روح الحمية لأجل فداء الوطن فقد أجاد وأفاد وكيف ولا وقد حبس كيانه العام ووجوده الشامل ووجدانه العاطفي وعقله الواعي لمناجاة محدثيه وكأنه بفرقة من جنود الله هبت إليهم لتهديهم إلى الصراط السوي (37)

ولكي تقتل حمية الشعب المجاهد يغتال الإمام والمتعلم والمثقف بعد أن أوكل الإستعمار الفرنسي للمنظمة الارهابية مهمة القيام بأعمال المباغثة للمدنيين وخطف الأشخاص من منازلهم فجأة ليسجلوا مسبقا في عداد المفقودين ولا يظهر لهم أثر بعد ذلك:

شهيد الضاد والقلم البديع	بذلت الروح في عز الربيع
كتبت لجيلنا أحلى نشيد	فردده الأجيال بالشموع
رضا حوحو شعار أو فخار	برغم الظلم والموت المريع
أرادوا أن يصيبوا كل حر	فأردوا رائد الأدب الرفيع
وحالوا دون قصته "لكي لا	تروّج لدى المسامر والسميع

ومعهدك الجديد لنا عزاء	وذكراك المليئة بالخشوع
فيا سرتا هنيئا بالضحايا	ويا وطني هنيئا بالشموع

يتماهى رائد الأدب "الشهيد رضا حوحو" في قلب كل حر، خاصة وأنه كان الناقد الساخر والمصلح الاجتماعي الذي كتب المقالات والمسرحيات والقصص مهاجما بذلك هجوما لا هوادة فيه بقلمه الجريء وبصره الثاقب وفكره الحصين أولئك الذين يخدمون أوضاع الاستعمار والاستغلال بطريق أو بآخر، لهذا حق له الموت على يد شرا ذمة أعداء الحرية والحياة وكيف لا و"حوحو" النور الذي أنار دجى بناء البلاد وحماة المستقبل. (38)

فبلغة تقريرية أحال السياق الشعري إلى تلك الميته المريعة* للشهيد "رضا حوحو"، نافثا بذلك في روح المتلقي شعورا بالفخر والإعتزاز ببطل الثورة الأديب المثقف، فتخلدت بذلك "سرتا" هي أيضا بخلود أعمال شهيدها.

وهكذا تكامل الوضوح والتشخيص والتجسيد في تشكيل كيان صورة الشهيد، فضلا عن تلك اللغة البسيطة والفنية معا والتي تنم عن نفس مشحونة بهالة من الإجلال والإكبار لأولئك الذين وصلوا بالجهاد إلى ذراه فساروا بالجزائر إلى مستقبلها الحتمي، فكان النصر تنويجا لكل الجهود والمعطيات.

وبذلك تماشى الزمان والمكان، والثورة والحرية، والعلم والأدب في شهداء الجزائر، فحققت لهم الجنة وذلك هو الفوز العظيم.

مراجع

- (1) نصر حامد أبو زيد، سيزا قاسم، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، دار الحياة العصرية، د ت، ص 106.
- (2) فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت لبنان، 2003، ص 1.
- (3) ينظر أنظمة العلامات في اللغة والأدب، ص 106.
- (4) الطيب بودريال، قراءة في كتاب سيمياء العنوان، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيميائية والنص الأدبي، 15-16 أبريل 2002، دار الهدى، الجزائر، ص 27.
- (5) صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص 335.
- (6) ريمون طحان، الألسنة العربية، بيروت لبنان، ص 44.
- (7) محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ط 1، 1982، ص 326.
- (8) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني عالم المكتب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 157.
- (9) عبد الرحمن محمد القعود، الإلهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، عالم المعرفة، الكويت، عدد 279-2000، ص 370.
- (10) فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع-1990، ص 139.
- (11) ينظر تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 152.
- (12) ينظر الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993، ص 338.
- (13) ينظر رجاء عيد، القول الشعري، منظورات معاصرة، منشأة المعارف الإسكندرية، د ت، ص 187-188.
- (14) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1977، ص 108.
- (15) ينظر صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 207.

- دلالة الإيمائية لصورة الشهيد في ديوان " مع الشهداء " للشاعر أحمد الطيب معاش
- (16) مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، دت، ص 29.
- (17) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 306.
- (18) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 48.
- (19) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية، ج 14، ص 288.
- (20) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 13، 1984، ص 165.
- (21) ينظر السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ط 16، 1990، ص 481.
- (22) مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت، ط 1، 1986، ص 452.
- (23) ينظر جريدة الجمهورية، 04 ماي 1985، نقلا عن الديوان الشعري، ص 309.
- (24) ينظر الكليات، ص 838.
- (25) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1985، ص 427.
- (26) ينظر أعراب الطريسي، الرؤية والفن للشعر العربي الحديث بالمغرب ص 43/45، نقلا عن مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998 ص 381.
- (27) مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس بباتنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999، ص 27.
- (28) ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 102.
- (29) الموسوعة العربية العالمية، ج 8، ص 540.
- (30) ينظر نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط 6، 2002، ص 107.
- (31) ينظر مصطفى بيطام، صدى الأوراس في شعر المغرب العربي الحديث، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة عدد 10، جوان 2004، ص 120.

- (32) أحمد حيدوش، المكان ودلالته في الشعر الجزائري إبان ثورة التحرير، مجلة الثقافة، السنة 19، العدد 104، سبتمبر/أكتوبر، 1994، ص 11
- (33) ينظر بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986، ص 187-189
- (34) ينظر عبد العزيز مسوهلي، الشعر والوجود والزمان، رؤيا فلسفية للشعر، إفريقيا الشرق، المغرب/بيروت، 2002، ص 138
- (35) ينظر محمد الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ص 18
- (36) ينظر أحمد بن زياب، العربي التبسي والنهضة العلمية، مجلة الأصالة، العدد 8، السنة الثانية، جوان 1972، ص 267
- (37) المرجع نفسه، ص 265
- (38) ينظر محمد خان، الأدب الإصلاحي في الجزائر، دراسة تحليلية لأدب حوحو، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، عدد 1، نوفمبر، 2001، ص 163-166.
- (٥) لأن المجاهدين قتلوا رئيس شرطة سيدي مبروك "قسطنطينة" فقد مثل بحوحو ونشر رأسه بالمنشار وهو حي، انتقاما منه لأنه كان يدعم الثورة ورفض كل امتياز وتعفف عن كل ما يمنحه الإستعمار وفضل عن قناعة الإنتماء إلى الشعب، فانخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكرا وعملا وظل وفيا لمبادئها، إلى أن كان أحد شهدائها في سبيل الحرية، ينظر المرجع السابق، ص 164.